المدى في مهرجان الخليج السينمائي

(سينماتون) الأطول في تاريخ السينما أمام جمهور المهرجان.. وانطلاق ليالي الخليج من سوق الأفلام

دبي/ علاء المفرجي

في إطار منهاج المهرجان قدم المخرج الفرنسي جيرارد كوران فيلمه الذي يعد الأرخص والأطول في العالم (سينماتون) ... بدأ كوران نشاطه في دورة العام الماضي، حين عرض مقتطفات من فيلمه ، في عرض كان الأول في منطقة الشرق الأوسط لأطول فيلم سينمائي في العالم.

وباعتباره عملاً قيد الإنجاز، ويواصل كوران إضافة بورتريهات ومشاهد إلى فيلمه، بتصوير الأشخاص والأماكن بأسلوبه الفريد الخاص، حيث تكون نظرة الكاميرا واضحة ومعبّرة عن الموضوع، أو الشيء، الذي يتمّ تصويره .

وصور كوران، الذي بدأ مسيرته السينمائية في العام ١٩٧٧، مع فيلم "الرقم صفر"، عدداً من سينمائيي الخليج، وضيوف المهرجان، بما في ذلك خبراء القطاع والإعلاميين، خلال مشاركته في المهرجان في العام الماضي.

وتضم عروض المهرجان الخاصّة بكوران، ١٥٣ مشهداً، منها ١٣٤ مشهداً من المقتطفات الشخصية التي تبلغ فترة كل منها قرابة ٤ دقائق، وتصوّر مقيمي الدولة وضيوف المهرجان. وهناك ١٩ فيلماً، بما فيها وثائقيات حول دبي وبورتريهات قصيرة تسلّط الضوء على نجوم وشخصيات معروفة، من قبيل المخرج الألماني الشهير، فيرنر هيرتزوغ، ستُعرض على شاشات مخصّصة منتشرة في كافة أرجاء مقرّ المهرجان.

وشهد المهرجان خلال اليومين الماضيين عرض عدد من الأفلام لسينمائيين عراقيين ، ففي إطار مسابقة الطلبة للأفلام القصيرة؛ عرضت أفلام (ابتسم مرة أخرى) للمخرج هاشم العيفاري، وفيلم (او نيكتف) لياسر عبد الحميد، و(عمري ٣١ سنة) للمخرج خالد البياتي، و(كاسيت) للمخرج ملاك عبد علي.

ويواصل المهرجان التقليد المتبّع في استضافة "ليالي الخليج" وهي منتديات نقاشية تقام عند منتصف الليل ويديرها ويشرف عليها عدد من أهم خبراء السينما من المنطقة كل ليلة، وتعتبر "ليالي الخليج" من أبرز الجلسات النقاشية المباشرة وتمتاز بصراحتها وفعاليتها.

وقد بدأت أول جلسة نقاشية ليلة الأربعاء، وأدار الحوار فيها أنطوان خليفة، مدير العلاقات الدولية في مهرجان دبي السينمائي الدولي، وكان موضوعها يدور حول "لقاء المشرفين على سوق السيناريو للأفلام الخليجية القصيرة"، وهي المبادرة الجديدة التي أطلقها مهرجان الخليج السينمائي لصقل وتطوير مهارات كتابة النصوص السينمائية والسيناريوهات لدى الكتاب والسينمائيين من المنطقة، وإتاحة المجال لهم كي يتعاونوا مع المخرجين والمنتجين، وتقديم المساعدة لهم لتحويل مشاريعهم السينمائية إلى أفلام واقعية. وقام خلال الجلسة كلّ من محمد خان، وميشيل كمون، وفريد رمضان بمشاركة رؤاهم وخبراتهم حول أهمية السيناريو القوي.

وأقيمت الليلة الثانية من "ليالي الخليج" يوم الخميس والتي حملت شعار "الضوء الصامت: محمد حسن أحمد" قام فيها كاتب السيناريو الحاصل على الجوائز، محمد حسن أحمد، بتقديم أحدث كتبه الصادرة حديثاً، والمرفق بمجموعة من أقراص الـDVD، بعنوان "الضوء الصامت". وستدور النقاشات حول مسيرة أحمد الفنية وصناعة السينما في المنطقة، وكيف تحوّلت سيناريوهاته إلى أفلام.

وقدم المهرجان أمس مجموعة من الأفلام المخصصة للأطفال، ضمن برنامج "أفلام للأطفال". ضمت تسعة أفلام قصيرة ، تتنوّع بين أفلام الرسوم المتحرّكة، والأفلام التقليدية التي تتناول المواضيع المسلية والجديّة على حدّ سواء.

ويحكي فيلم التحريك القصير "البقرة التي تحاول البحث عن بقعها"، للمخرج الفرنسي تريستان فرانسيا عن البقرة "في"، التي تعشق مشاهدة عبور القطارات أكثر من أيّ شيء في العالم. ويتمحور الفيلم الروائي القصير "الغسالة"، للمخرج الكندي داني لينش، حول فتى في السابعة من العمر فُجع بوفاة أمه، ولكنه اكتشف أن كلّ ما يضعه في الغسالة يسافر في الزمن إلى الوراء. ويقصّ الفيلم البرتغالي "النجمة الألمع" للمخرجين خوانا سانتوس وأندريه ماتوس، حكاية طفل يحاول الوصول إلى أمه المتوفاة، بالاستعانة بسفينة فضاء.

كما يُعرض فيلم "إشاعات" للمخرج فريتز ستاندايرات، وهو إنتاج فرنسي بلجيكي مشترك عن حيوانات الغابة التي تفزع من الضوضاء غير المألوفة التي مزّقت الصمت المحيط. أما فيلم "المزارع والروبوت"، للمخرج الإيراني عبد الله علي مراد، فيحكي قصة روبوت تسقط سفينته الفضائية في مزرعة ما، فيحاول التواصل مع المزارع.

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

لا وطن للشعر

تتنقل الجغرافيات الشعرية في العالم العربي لأسباب غير شعرية تقريباً. بعضها يتعلق بالوضع الجيو- سياسي، والآخر بالثقل الاقتصادي، والثالث بوضع تاريخي أو فكرة سياحية ثابتة عن بلد ما. كلها لا تتعلق بالشعر ولا بالشعرية. فالتغيرات التي طرأت على العراق مثلاً من حروب وحصار وقمع من كل نوع أثرت في مكانة الشعر العراقي وخففت من حضور شعرائه في الوعي العربي. إن جميع صنوف المواقف والمشاريع الشعرية والممارسات الشخصية الرفيعة والمعيبة إنما هي تعبير عن انحسار "صورة الشاعر" ووضعيته في العراق. لا وزنَ يؤخذ عربيا على ما يبدو لشعر مقتلَع من جغرافيته مهما كانت عظمته. يبرهن بعض الشعر الفلسطيني على ذلك بالمقلوب، فإن اقتلاع الوطن الجغرافي بالعنف وأن استعارة الأرض – الأم الكبرى المنتهبة ظلت حاضرة في كل مكان من العالم.

من جهة أخرى يمكن ملاحظة أن المكانة التي صار يحوزها، أقلها، الشعر النبطي والشعبي في منطقة الخليج والسعودية بحيث تُكرَّس له صفحات طوال في كبريات اليوميات والدوريات، إنما تنبع من الوزن الاقتصادي لتلك المنطقة، والثقل بل الضغط الذي يمارسه محبّوه من كبار المسؤولين في الدولة. في الترويج للشعر النبطي ثمة توطين ثقافي قادم من أصول ليست سجالية معرفية بالضرورة، في فضاء جغرافي يتوجب عليه، نظريا، الدفاع المستميت عن لغة الضاد الفصحى.

في البلد الواحد نفسه يصير الركون إلى دعم السلطة وأموالها رافعة لشهرة هذا الشاعر، وغمط حق ذاك. ولعل الأهمية الممنوحة لبعض الشعراء، محليا وعربياً، في سلطنة عمان خير مثال على روافع خارجية. في العراق الأيديولوجي يمكن الحديث عن سامي مهدي وحميد سعيد كمثال للمسألة في سياق آخر. ويمكن القول أن الجغرافيات الجديدة للشعر العربي المنبثقة بسبب سلطة المال، وليس الأدب هي التي دفعت شعراء وروائيين لطباعة مجاميعهم (الكاملة أحيانا) ورواياتهم على حسابهم الشخصي في أهم دور النشر العربية كالفارابي والساقي والآداب. من الواضح أن هذه العناصر كلها ليست أدبية ولا جمالية. كما أن انتقال مهرجانات "قصيدة النثر" إلى القاهرة مؤخراً يستجيب إلى فكرة ريادة مصر الثقافية التاريخية، وأن الأستاذية الافتراضية التي يمارسها بعض الشعراء في لبنان (وهم قلائل) على أقرانهم، بغض النظر عن المستوى الجمالي الفعلي لهذا وذاك، ليسا سوى مثالين على وضع تاريخي مستتب، وأحياناً افتراضي، في الذاكرة الثقافية والشعرية العربية. ثمة جغرافيات متحوِّلة، وهوامش صارت مراكز، لا تؤخذ بالحسبان بسبب هذا الوضع.

كل ما نذكره هنا هو أمثلة محسوسة يتهرّب البعض من قولها انسجاماً مع أوضاع جيو- سياسية جديدة، أو "قبولاً" بسطوة من طبيعة اقتصادية أو إقراراً بحقيقة تاريخية بحاجة إلى إعادة فحص. وكلها لا تستطيع الإفلات من فكرة أن هذه الجغرافيات لا يَعترف بها الشعرُ الحقيقيُّ لو أننا عرفناه حقاً.

الشعر يقع خارج الجغرافيا، وهو يقف بعيداً عن الجغرافيات المتوهَّمة التي تبالغ بخصوصياتها المحلية، خاصة في الدول حديثة الولادة نسبيا.

جميع الأسباب المذكورة عميقة، لكنها طارئة في نهاية المطاف، ولا تستطيع، في تقديري، مراكز القوى الشعرية القائمة على تلك الأسباب أن تنجز مشروعاً شعرياً أصيلاً دون توافر الموهبة والحرقة الوجودية. احتفالات ومهرجانات الشعر التي انتقلت فجأة من المربد العراقي إلى جرش الأردني دليل قوي آخر. يحضر كل شيء في هذه المهرجانات ويختفي أو لا يُرحّب بالجوهري، حتى أن بعضا من أهمّ الأصوات الشعرية العربية لم تكن تُدعى إليها. تلك الأصوات الغائبة تشتغل في الجغرافية الوحيدة الجديرة بالشعر: العزلة المرِحة في فضاء شخصيّ خصب، يقع خارج الخريطة العربية.

موسيقى السبت

كونشرتو البيانو رقم ١ لشوستاكوفيتش

ثائر صالح

ألف الموسيقار الروسي دمتري شوستاكوفيتش هذا الكونشرتو للبيانو والترومبيت سنة ١٩٣٣، وقدمته فرقة لينيغراد الفلهارمونية في العام نفسه ، بعزف المؤلف على البيانو. والكونشرتو في الحقيقة مزدوج برغم العنوان، فدور الترومبيت لا يقل عن دور البيانو. وقد أضفى الترومبيت المزيد من الدعابة على العمل، وسند البيانو في ذلك.

لم يدر في خلد الموسيقي الشاب (كان في السابعة والعشرين عند تقديم الكونشرتو)، أنه سيصطدم بالستالينية بعد فترة وجيزة. فقد وصمت البرافدا اوبراه ليدي ماكبث بالشكلانية سنة ١٩٣٦، برغم النجاح الكبير الذي حصلت عليه عند تقديمها سنة ١٩٣٤. وكانت سنة ١٩٣٦ من سنوات الارهاب الستاليني الشديدة، إذ سيق الكثيرون إلى سيبيريا أو اعدموا في أقبية مخابرات بيريا. عندها تغير أسلوبه، وبدأ يميل إلى العمق الروحي الحزين الذي ميز الكثير من أعماله الملحمية اللاحقة، دون أن يفقد سخريته المريرة. خلال تلك الفترة انجز شوستاكوفيتش سيمفونيته الخامسة، أراد من حركتها الثانية البطيئة أن تكون تذكارا لصديقه المارشال توخاتشفسكي الذي أعدمه ستالين. تعتبر هذه السيمفونية من بين أفضل أعماله، وهي تقدم بكثرة حتى اليوم.

يتألف الكونشرتو من أربع حركات، إذا ما اعتبرنا مقدمة الحركة الأخيرة حركة منفصلة. فالحركة الثالثة معتدلة السرعة وجدية الطابع، أما الحركة الأخيرة الرابعة فهي سريعة وخفيفة الطابع، ولهذا الاختلاف يمكن اعتبارهما حركتين منفصلتين. مفتاح الكونشرتو الأساسي هو دو الصغير، إلا أن شوستاكوفيتش يختتمه بسلم دو الكبير المضيء.

كيف يصبح المرء مستشرقاً؟

محاورة مع أندريه ميكل ٢/١

تقديم وترجمة : حسين عجة

بمناسبة صدور الجزء الأول من "ألف ليلة وليلة" عن منشورات "بلياد" Pléiade الشهيرة، التي يشرف على نشر أجزائها الكاملة الباحث، الكاتب، الرحالة والمستشرق الفرنسي المعروف اندريه ميكل؛ عاشق اللغات، النصوص والآثار الموغلة في قدم الشرق العتيق وما ينطوي عليه وجوده من أسرار وكشوفات؛ اندريه ميكل الذي عايش عن قرب كل الأحداث التاريخية الكبرى والصغرى منها، التي عرفها العالم العربي والإسلامي المعاصر، لاسيما في مصر ودمشق، ولكن العراق أيضاً، الذي يقول عنه أنه كان يقطع الصحراء التي تفصل ما بين بغداد والشام، في أعوام الخمسينيات، لكي يلتقيه بكل فرح ودهشة. بيد أن اهتمام ميكل بتاريخ وثقافة شعوب هذه المنطقة لم يكن لينفصل، في الحقيقة، عن شغفه وبحثه الذي لا يكل في تضاريس جغرافية تلك البلدان. ليس هذا فحسب، بل وأيضاً ولعه الخاص والاستثنائي بقراءة وفك رموز وتأثيرات الجغرافية في الكتابات والإبداع الأدبي؛ وذلك منذ سن العشرين من عمره وحتى اليوم، أي لأكثر من ٦٠ عاماً : لقد كتبَ اندريه ميكل أكثر من مائتي مقالة علميه، تضاف إلى أكثر من أربعين كتاباً عن الإسلام. غير أن التنقيب والبحث عبر خرائط الجغرافيا والتاريخ لم يحرمه من إنتاج إبداعه الخاص، الذي يشمل أكثر من عشرين كتاباً من السرديات، الروايات والأشعار. لقد كلفت "المجلة الأدبية" الكاتب وصديق ميكل بإجراء محاورة مطولة مع هذا الصرح الثقافي والإبداعي، يتحدث فيها ليس عن مسار حياته الشخصية فقط، ولكن أيضاً عن كل المحطات واللحظات المتفردة التي عاصرها وجاب آفاقها.

المحاورة

× بيير مارك بيازي: كيف تولد لديك إغواء الشرق، هل من قراءتك الأولى في الطفولة؟

– اندرية ميكل : في الطفولة! كلا. الصحيح هو أني عندما كنتُ طالباً في معهد المعلمين، في عمر ١٨ عاماً، كنتُ قد قرأتُ ترجمة للقرآن، أي ترجمة "سافاري" Savary التي سحرتني. لقد اهتممت حقاً بتلك الترجمة، ولكن ذلك أيضا من أجل تمييز نفسي عن الآخرين. فكل واحد منا كان يبحث لنفسه عن «look»، عن تفرد مُظهري نوعا ما. أنا، كنت المُستشرق. لكن، ولكي أكون دقيقاً، لا بد لي من القول بأنه قبل ذلك بقليل، أي حينما كنتُ في الثانوية، في عام ١٩٤٦، شاركتُ في مسابقة عامة في مادة الجغرافيا : كانت الجائزة التي حصلتُ عليها هي سفرة في بلاد المغرب العربي الكبير؛ أن تلك السفرة عبر المناظر الطبيعية لتونس، الجزائر والمغرب قد تركت انطباعات قوية في نفسي.

× ومع ذلك، كنتَ قد اتخذت قرارك مبكراً، لأنك شرعت بتعلم اللغة العربيةٍ وعمرك لم يتجاوز العشرين عاماً، ولم يكن ذلك القرار عاديا.

– اندريه ميكل : أجل، ما عدا أن نيتي الأولى لم تكن تعلم العربية، ولكن الفارسية. في العمق، كنتُ قد تساءلت مع نفسي لم لا أضيف لغة خامسة للغات الأربعة التي كنت أتقنها – الفرنسية، اللاتينية، الإغريقية والألمانية- حتى أتمكن، في الأخير، من القيام بدراسات ألسنية وأدبية في مجال الأدب المُقارن. لذا ذهبت إلى مدرسة اللغات الشرقية، الذي جعلني مديرها السيد "ماسه" Massé أدرك بسرعة بأنه لن أحظى بمكانة لدراسة اللغة الفارسية، ذلك لأنه لم يكن هناك سوى مقعد واحد مخصص لها وقد شغله رفيقي الأكبر مني سناً وهو جلبرت لازار Gilbert Lazard. وهكذا اكتشفت بأن تكون لأحد طلاب مدرسة المعلمين الشجاعة لكي يكون مستشرقاً قبلي (لقد قابلت العديد منهم، بعد ذلك! لكن المرء في سن العشرين يثق بنفسه ولا يساوره الشك بأي شيء) ولم يكن للفضول الثقافي من إمكانية أن يتحول إلى ما هو عملي إلاّ إذا ما قبل صاحبه بالأماكن الشاغرة. وباختصار مال حظي من الفارسية نحو العربية. تابعت إلى حد ما دروسي في مدرسة اللغات الشرقية، لكني كنتُ أجهد وحدي، باعتمادي على قاموس صغير وبمعونة أحد الطلاب المغاربة، بدافع اللذة ومن دون تحديد هدف بعينه. لقد أوصلني العام الثالث من دراستي في تلك المدرسة إلى الإنسانيات للحصول على شهادة الأستاذية، في مادة النحو؛ وفي العام التالي، ١٩٥٣، حصلت على بعثة من قبل المعهد الفرنسي في دمشق، لكي أحسن من لغتي العربية.

× عاما ١٩٥٣ – ١٩٥٤، إذا لم تخنِ ذاكرتي، كانا بمثابة مرحلة قلقة في سوريا، متعلقة بتغيير النظام، أليس كذلك؟ كيف كان المناخ السياسي حينها؟

– اندريه ميكل : أجل، لقد كانت هناك تحركات – سقوط الشيشكلي، في شباط/ فبراير ١٩٥٤، لكنها كانت ثورة هادئة. في الواقع، لقد كنا نتجول في كل بلدان الشرق الأوسط بسلام. كان بمقدور المرء السفر إلى العراق بسيارة باص عادية عبر الصحراء. بالمناسبة، لقد كرست تلك السنة من أجل اكتشاف المنطقة : كنتُ قد تزوجت منذ وقت قريب، لذا كانت سفرة شهر عسل رائعة. بيد أني كنتُ قد شرعت كتابي الأول : ترجمة كليلة ودمنة، وكذلك الطبعة العربية لأساطير بيدبي fables de Bidpi، وهي نصوص أصلها هندي، التي كانت قد ترجمت في البدء إلى الفارسية ومنها إلى العربية. لقد صدرَ الكتاب في عام ١٩٥٧ في طبعته الفرنسية، عن دار نشر "كلنكسيك" Klincksieck، لكني كنتُ قد شرعت بالعمل منذ عام ١٩٥٤ في دمشق.

اندريه ميكل

× لقد قطعت الخدمة العسكرية، في عامي ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، عملك، لكنك ما أن عدت إلى حياتك المدنية حتى طالبت بالحصول على عمل في السلك الدبلوماسي، لماذا؟

– اندريه ميكل : في الحقيقة، كانت رغبتي هي الرحيل ثانية إلى الشرق الأوسط، وإعادة تناول أعمالي عن الثقافة العربية. لقد طلبت منصبا في المركز الثقافي الفرنسي في القاهرة أو دمشق. فكان الرد هو لأنني لا أملك شهادة الأستاذية في العربية، لذا ليس لي من حظ في الحصول على ذلك المنصب. لذا ذهبت للطرق على باب آخر، وهكذا توجهت إلى وزارة الشؤون الخارجية، حيث لم يكن من منصب شاغر إلا في أثيوبيا. أمضيت هناك عاماً واحداً، لكني سرعان ما أدركت بأني ظللت طريقي، لهذا عدت إلى فرنسا وعملت كأستاذ في ثانوية ابليز باسكال في جامعة كليمون فيروند. ما أزال أتذكر تلك السنة، ١٩٥٦-١٩٥٧ كلحظة سعيدة. إذ كان لي أصدقاء طيبون في تلك الجامعة، كفوكو، فيلمان، فاله وغيرهم. وغالباً ما كنا نلتقي. لقد كانوا يرغبون في عمل شيء ما معي في تلك المدينة. بعد ذلك، اعتقد أن الأمور سارت على النحو الآتي : لقد تم استدعائي من قبل وزارة الخارجية الفرنسية وذكروني بما قلته مرة في إثيوبيا بأن الوزارة تستخدم أناسا لا عمل لهم، لقد أثار ذلك استغرابي؛ ومن ثم فقد اسندوا لي منصب المسؤول عن شؤون التعليم ودراسة الأعمال في كل من آسيا وأفريقيا: أفريقيا باستثناء البلدان الناطقة بالفرنسية، وآسيا باستثناء الهند الصينية. وهكذا أمضيت أربع سنوات، من ١٩٥٧ وحتى ١٩٦١، من العمل في وزارة الشؤون الخارجية.

× في عام ١٩٥٧، كانت أزمة قناة السويس. وقد قطعت العلاقات الدبلوماسية ما بين فرنسا ومصر. والحالة هذه، وبعد خدمتك لأربعة أعوام في وزارة الشؤون الخارجية، تمّ تعيينك في القاهرة، هل كان ذلك يتوافق مع ما كنت تخطط له من مشاريع؟

اندريه ميكل : نعم. في خريف عام ١٩٦١ سافرت إلى القاهرة للعمل هناك كمسؤول عن البعثة الثقافية لكي ألازم إعادة فتح المؤسسات الفرنسية العاملة في مصر، امتداداً لمعاهدة زيورخ في عام ١٩٥٩ : كانت تلك المؤسسات هي المدارس الثانوية في كل من القاهرة والإسكندرية، المعهد الفرنسي للإركولوجيا الشرقية، مدرسة الحقوق، المدارس الدينية، الخ... لقد كان الموقف هناك بالنسبة للفرنسيين هشاً منذ عام ١٩٥٦. إلى جانب هذا، كانت هناك بعثة أخرى تتولى متابعة مصير الممتلكات الفرنسية التي أممها عبد الناصر.

في لحظة مغادرتي، تولد لدي انطباع بأن ملامح دربي قد تم رسمها : فكرت بأني سأبقى لعدة أعوام في القاهرة لكي أكتب أطروحتي عن "السينما والأدب في مصر المعاصرة"؛ بعدها سيسندون لي مواقع ثقافية أخرى، وفي النهاية، سأطالب بنفسي للانضمام في السلك الدبلوماسي. سافرت، إذاً، إلى مصر محمولاً بهذا الطموح باعتباره مرحلة، وعند عودتي إلى فرنسا قد أصبح سفيرا.